جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

الجمع في اللغة:

الْجَمْعُ ضَمُّ المتفرِّقِ بتقريبِ بعضِهِ من بعضٍ، وَهُوَ خِلاَفُ التَّفْرِيقِ، ويأتي بمعنى العزم ، وَمنهُ حَدِيثُ: "مَنْ لَمْ يُجْمِعْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ"، أَيْ: مَنْ لَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِ. وَهُوَ مَصْدَرُ جَمَعَ يَجْمَعُ مِنْ بَابِ مَنَعَ. وَأَجْمَعُوا عَلَى الأَمْرِ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ.

جمع القرآن الكريم في الاصطلاح الشرعي:

ورد جمع القرآن بأربعة معانٍ، وهي:

- حفظ القرآن في الصدور.
- تأليف سور القرآن الكريم وترتيبها .
- تأليف وترتيب الآيات في السورة الواحدة.
- كتابة القرآن الكريم في الصحف والمصاحف.

أما الإطلاق الأول فقد حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث حفظ النبيُّ صلى الله عليه وسلم القرآنَ الكريمَ عن ظهر قلبٍ ومعه جمعٌ من أصحابه .

وأما الإطلاقان الثاني والثالث، وهو تأليف السور، كتقديم السبع الطُّوال ، وتعقيبها بالمئين،(سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب)،فهذا الضرب هو الذي تولاّه الصحابة رضي اله عنهم وأما الجمع الآخر، فضمُّ الآي بعضها إلى بعضٍ، وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيءٌ تولاَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما الإطلاق الرابع، فيتضمن مرحلتين:

- الأولى جمع متَفَرّقِهِ في صحفٍ، وهو ما حدث في عصر أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه،

- والثانية: جمع تلك الصحف في مصحفٍ واحدٍ، وهو ما حدث في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أولا: جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

أ-حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم:

كانت العرب قبل الإسلام أمَّةً أمِّيَّةً، لا تقرأ ولا تكتب، والأمي إنما يعتمد على ذاكرته في حفظ ما يحتاج إلى حفظه ، قال تعالى : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ".

ولما بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة كانت إحدى آيات ودلائل نبوته أنه أميٌّ يعتمد على ذاكرته في الحفظ ؛ كما قال تعالى : " وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِنِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ " .

و كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على حفظ القرآن حال إنزاله ، حتى لقد كان صلى الله عليه وسلم يتَعَجّلِ في حفظَ القرآن الكريم، مخافة أن ينساه، حتى أنزل الله عليه :"لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " ،فكَانَ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَمَا قَرَأَهُ.

الحُفّاظ من الصحابة:

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحفظون القرآن بسماعه منه، وكان صلى الله عليه وسلم يحرص أن يتعلّم كل من التحق بدار الإسلام بالْمدينة القرآن، فكان يختار لهم من يعلِّمهم. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُشْغَلُ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ.

ولقد حفظ القرآن الكريم من الصحابة عدد كبير يصعب حصره، منهم الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالْم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وأُمّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الأَنْصَارِيِّ، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة...

تدوين القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم أول الأمر يجمع من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بِحفظه في الصدور، ثم زادت عناية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكتابة القرآن الكريم.

وكان صلى الله عليه وسلم قد نَهى في بداية الأمر عن كتابة غير القرآن ؛ حتى لا يختلط به؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلاَّ الْقُرْآنَ وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ".

وقد بلغ من عناية النبي صلى الله عليه وسلم بتدوين القرآن الكريم أنَّه كان إذا أنزل عليه شيءٌ يدعو أحد كُتَّابه ، ويأمره بكتابة ما نزل عليه. عن عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا تَنَزَّلُ عَلَيْهِ الآيَاتُ فَيَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: ضَعْ هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا".

سبب كتابة القرآن في العصر النبوي:

وعد الله تعالى بحفظ الكتاب الكريم، قال تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ".ولما كانت الكتابة من أسباب الحفظ، فقد يسّرها الله للمسلمين، وأمر بِها النبي صلى الله عليه وسلم. والسبب في ذلك يمكن بيانه في ما يلي:

1 - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مطالبًا بتبليغ الوحي، قال تعالى: " يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك "، والتبليغ في حاجة ماسَّة إلى الكتابة، فبها تقوم الحجة على من يقرأ الكتاب ممن لم يلحق مرحلة النبوة،

2 - أن الكتابة أدعى إلى حفظ التنزيل وضبطه، وأبعد عن ضياعه ونسيانه وتحريفه.

مواد الكتابة في العصر النبوي:

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يستعملون في كتابة القرآن كل ما توفَّر في بيئتهم وتيسَّر لَهم من أدوات الكتابة كالجلود والعظام والحجارة ونحوها، فكانوا يكتبون القرآن على الرِّقَاع، وَالأَكْتَافِ، وَالْعُسُبِ، واللخاف، والأضلاع، والأقتاب، والأَلواحِ، وقِطع الأديم، والكرانيف.

أسباب عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد:

توفي النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لم يُجمع القرآن في صحف ولا مصاحف:

عن زيد بن ثابت قال: قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ. وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم جمع القرآن في مصحف واحد لاعتبارات كثيرة، منها:

1 - أنَّ الْمسلمين حينئذ كانوا في مأمن، والقراء كثيرون، والإسلام لم تتّسع دولته، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة ، وأدوات الكتابة غير ميسورة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم. لذلك توجد دواعي كتابته مجموعًا في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان رضي الله عنهما.

2 - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحي، ويطرأ على البعض منه النّسخ ، ولو جمع القرآن في مصحف واحد في فترة النبوة لكان عرضة لتغيير الْمصاحف كلما وقع نسخ لبعض الآيات.

3 – أن القرآن لم يَنْزِل دفعة واحدة، بل نزل منجمًا في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والسور على ترتيب النُّزُول، ولو جُمِع القرآن في مصحف واحد حينذاك لكان عرضة لتغيير الْمصاحف كلما نزلت آية أو سورة.

كُتَّاب الوحي:

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاب يكتبون الوحي، فكان إذا أنزلت عليه الآية أو الآيات دعا بعض كُتَّابه، فأملى عليه ما نزل، فيكتب بين يديه، وكان يأمرهم بوضع الآيات في مواضعها الْمخصوصة من سورها. فعَنْ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ فَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا.

وقد كتب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه، ومن أشهر كُتَّابه:

- زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري،

- أبيُّ بن كعب الأنصاري، وهو أول من كتب الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في الْمدينة.

- عبد الله بن سعد بن أبي سرح: هو أول من كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بِمكة ، ثم ارتد عن الإسلام، ولَحق بالْمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وحسُن إسلامه.

ومن كُتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومن كتاب الوحي أيضًا: معاوية بن أبي سفيان: فقد أسلم عام الفتح، وحسُن إسلامه، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم.

ومنهم الزبير بن العوام ؛ أحد العشرة الْمبشرين بالجنة، حواريُّ رسول الله. ومن كتاب الوحي أيضًا حنظلة بن الربيع ، ومنهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، ومِمَّن كتب

الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم أيضًا أرقم بن أبي الأرقم الْمخزومي؛ وكان من السابقين إلى الإسلام، ومن الْمهاجرين الأولين، وهو الذي كان النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستخفون في داره في فترة الدعوة السّرية.

ترتيب الآيات:

كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرشده إلى السورة التي هي منها، ويرشده أيضًا إلى موضعها من تلك السورة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يأمر كتبة الوحي بكتابتها، وإدراجها في الموضع الذي أرشده إليه جبريل عليه السلام.

وعَنِ عُثْمَانَ بن عفَّان رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الآيَاتُ قَالَ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ قَالَ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا".

وقد جُمِع القرآن كلُّه بهذا الاعتبار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ.

ترتيب الآيات في السورة توقيفي:

انعقد الإجماع على أن ترتيب الآيات في السورة كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، وأنه لا مَجال للرأي والاجتهاد فيه. قال السيوطي: "الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، أما الإجماع، فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين". وقال القاضي أبو

بكر الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجبٌ، وحكم لازمٌ، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا".

ترتيب السور:

وأما ترتيب السور على ما هي عليه الآن، فاختلف: هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من فعل الصحابة، ففيه ثلاثة مذاهب:

الأول: وهو **مذهب الجمهور**: أن النبي صلى الله عليه وسلم فوَّضَ ذلك إلى أمته من بعده، يعني أن هذا الترتيب من فعل الصحابة رضي الله عنه. ومِمَّن ذهب هذا الْمذهب الإمام مالكٌ، والقاضي أبو بكر الباقلاني.

الثاني: أن هذا الترتيب توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه قال طائفة من العلماء؛ قال أبو جعفر النحاس: "المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروي ذلك عن علي بن أبي طالبٍ".

واستدلوا على ذلك بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بِمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان رضي الله عنه.

المذهب الثالث : أن ترتيب كثير من السور كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، و ترتيب بعض السور كان باجتهاد من الصحابة صلى الله عليه وسلم.

واستدلوا على ذلك بورود أحاديث تفيد ترتيب بعض السور، كالأدلة التي احتج بها الفريق القائل بالقول الثاني، وورود آثار تصرح باجتهاد الصحابة في ترتيب بعض السور كحديث ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه السابق.

عرض القرآن في كل سنة على جبريل:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل عليه السلام كل سنة، فكان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر القرآن من كل سنة فيدارسه فيما نزل عليه ويعارضه؛ يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

قال الكوثري: "والمعارضة تكون بقراءة هذا مرة واستماع ذاك، ثم قراءة ذاك واستماع هذا، تحقيقًا لِمعنى المشاركة، فتكون القراءة بينهما في كل سنة مرتين".

ويظهر أن عرض القرآن في كل سنة مرة كان لفوائد كثيرة، منها:

- تأكيد الحفظ والاستظهار.
- معرف ما طرأ عليه النسخ من القرآن،
- معرفة الأحرف السبعة التي أُمر بقراءة القرآن عليها،
- معرفة معاني ما يحتاج إلى معرفة معانيه من القرآن،

العرضة الأخيرة للقرآن الكريم:

لما اقترب زمن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل عليه السلام بالقرآن مرتين، وذلك في رمضان من السنة التي تُوُفِّي فيها صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك إشارة على دنو أجله صلى الله عليه وسلم . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَلَى جِبْرِيلَ، فَيُصْبِحُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ لَيْلَتِهِ الَّتِي يَعْرِضُ فِيهَا مَا يَعْرِضُ وَهُوَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، لا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ، حَتَّى كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي هَلَكَ بَعْدَهُ عَرَضَ فِيهِ عَرْضَتَيْنِ".

وعَنْ عائشةَ في حديث وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ فَاطِمَةَ قَالَتْ: "إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيَّ فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ قَدْ حَضَرَ أَجَلِي".

فكانت هذه العرضة الأخيرة بِمنْزلة المْراجعة النهائية للقرآن الكريم، عرض فيها القرآن الكريم مرتين، فأُثبِت فيه ماشاء الله تعالى تثبيته، وترك ما نُسِخ منه. وما ثبت في هذه العرضة هو القرآن المحكم الخالد إلى يوم القيامة.

الصحابة الذين حضروا العرضة الأخيرة :

وقد ورد من الروايات ما يدل على أن من الصحابة رضي الله عنهم من حضر تلك العرضة كزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود وغيرهم.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: "قرأ زيد بن ثابتً على رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنَّما سمِّيَت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت: لأنه كتبها لرَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولّاه عثمان كتابة المصاحف". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها.

وكانت العرضة الأخيرة للقرآن الكريم هي المرجع والأساس لقراءة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كما كانت الفيصل بينهم إذا تنازعوا في شيء من كتاب الله تعالى ، وعلى ضوئها كان جمع القرآن الكريم وتدوينه.